القصة العاشرة

الصديق الفيسبوكي

سهى سيدة فى الثلاثين من عمرها حباها الله بنوع فريد من الجمال والسحر والغنج والدلال ما لم يمنحه لفتاة أخري والى جانب ذلك كانت مثقفة وخريجة احد الجامعات تزوجت من سعيد الذى لا يقل عن شمائلها وخصالها الكثير فهو قوى البنيان مفتول العضلات دمث الأخلاق انسان مثقف كانت فترة تعارفهما عندما كانا يعملان سويا فى وزارة الداخلية بأحد الأعمال الأدارية وتوطدت العلاقه بينهما على مدار ثلاث سنوات تكللت بالزواج وانجاب طفل وحيد تم تسميته بساهر تيمنا وأعجابا بحرف السين المشترك بينهما .

كانا يعيشان سويا عيشة مرفهة والأقرب تصنيفهم ضمن طبقات المجتمعات الراقيه لديهم منزل جميل تحيط به حديقة غناء تحتوي على الأشجار والزهور والكثير من العاملين فى اعداد الطعام والحراسة والسائقين ، مرت الأيام سريعا وحدثت الثورة وتبدل الحال باعتبارهم منتسبين للنظام الحاكم واصبحت تلك الذكريات ماضى جميل وحلم أستيقظا منه فى لحظات تهور من بعض الفصائل واصبحوا مطاردين من قبل تلك الفصائل فما كان منهم الأ الفرار من المنزل والبحث عن مكان أمن يستطيعان التواري فيه عن الأنظار عند احد الأقارب ولكن هيهات ان يكون هناك امان ظلوا يتنقلون من

مكان الى اخر فقد اصبحت كل الاماكن فى مرمى الثوار والمرتزقة من كل الدول .

انقطعت سهى عن العمل باعتبارها تعمل عملا إداريا واصبحت كل المصالح الحكومية هدف وغنيمة للمتمردين وانخرط زوجها سعيد فى العمل مع قوات النظام يحاول أصلاح ما يمكن أصلاحه لعودة الأمور الى ما كانت عليه واصبح ممسكا بسلاحة فى الصفوف الامامية لا يخشي الموت فقد شاهد بإم عينة مصير المستقبل المجهول بتشريد أسرتة وتركهم لمنازلهم ورغم انخراطة فى الجهاد كان حريصا على زيارة زوجته ورؤية ابنه بين الفينة والاخرى ولكن للرب تدابير أخرى فقد اصابته احدي القنابل ولقى حتفة على الفور فى احد المعارك واستطاع احد الناجيين ان يقوم بإبلاغ زوجته بخبر وفاته فى ساحات المعركة فما كان من الزوجه الا تلقى الصدمة الأولى فى حياتها وهى فى ريعان شبابها بفقدان السند والعضد وترك فى رقبتها طفل بلغ الثانية عشر من عمرة وهو فى المراحل الدراسية وتوقف عن الدراسة بسبب تلك الحرب و كان عليها ان تقوم بمسؤولياتها كرجل وأمرأه فى آن واحد وازدات صلابتها وقد حان الوقت لتضع نصب عينها الواقع الجديد .

ضاقت بها الحياه وقلة الموارد واخذت تبيع فى مصوغاتها التى كانت ترتديها لكى تستطيع الأنفاق عليها وعلى ولدها واضطرت تحت وطأه القصف العشوائى الأنتقال للمدن تلو الأخرى الى الذهاب الى مخيمات اللائجين حيث تحولت المدارس الى معتقل كبير وتم تقسيم الفصول بعوازل هشة هنا للرجال وهناك للنساء والمعاناه لا يتخيلها بشر حيث لا خصوصية ولا توفير لقواعد اساسية للحياة البشرية وقد كانت سهى مثل الجبل الصامد صابرة على ما تصادفه فى حياتها من ويلات وحاولت التاقلم مع الواقع المرير ولم تبقي فى

المكان طويلا فقد تم القصف على تلك المدارس مما جعلها هى والأخرين ينتقلون الى اماكن أخرى فى الخلاء وبين المزارع ولعدم توافر المواد الغذائية كان عليهم منافسة الأبقار والمواشى التى ما زالت على قيد الحياة فى أكل الحشائش حتى انك تستطيع سماع اصوات الحيوانات وهم يرفضون مشاركتهم فيها وكانت الاحلام البسيطه والحقوق الاساسية مثل الاحلام الخيالية كالحصول على حمام دافئ والنوم على فراش والحصول على غطاء يمكن خلاله الحصول على مصدر دفئ لها ولطفلها فقد كانت تحتضنه لتتوارى به ويتوارى بها من زمهرير الشتاء القارص وكانت فى كل ليلة تحتضن فيه طفلها تتمني سرعة انبلاج الفجر حتى تظهر الشمس ليكون نورها مصدر دفئ وبداية يوم ربما يكون افضل من اليوم السابق ويحتوى اى اشارات على قادم جميل .

استمر حال سهى بهذا البؤس فقد شاء الله ان تفقد كل اقاربها واخوانها وانعدمت كل وسائل التواصل بينهم وهذا كان فى حد ذاته شعور حالك فى النفس البشرية فما اصعب ان تفقد قريبا تلو الأخر حتى تصبح فى الدنيا وحيدا كالمنبوذ لكن كان هناك ما يهون عليها مصابها فى فقدان الزوج والأقارب برؤية الخرين الذين يتنقلون معها من مكان الى مكان وخلف كل شخصية من هؤلاء قصص وحكايات وكل قصة فيها الفقدان عنوان ، هذه فقدت زوجها وهذه فقدت اطفالها وهذه تم بتر احد اطرافها وهذه فقدت نظرها من القصف العشوائى على المدنين الذين لم يقترفوا ذنب سوى انهم كانوا من ضمن منظومة نظام عابث فقد كل مقومات العدل يوما حتى خرج عليه القريب والبعيد يطالبون برحيلة عن دنياهم من اجل مستقبل قادم ربما تتحسن ظروفه ومع هذا وذلك فقد أختلطت النوايا واصبحت المغانم الشخصية هى الأهم على اشلاء الضحايا الأبرياء .

كانت سهى تستمع لتلك القصص وتقول فى نفسها حسبنا الله ونعم الوكيل والتساوى فى المصائب احيانا نوع من العدل يؤدي الى الرضا مهما كان على اى حال من الأحوال ورغم الرضا الخارجي دوما تكون هناك صرخات مكبوتة لا تبارح الحناجر وحرب نفسيه شرسة بين البوح والصمت الخاسر الأول فيها هو فقدان الشعور بإى شئ .

هدأت الأوضاع فى احد المدن القريبة وتم نقل مجموعه من الأشخاص الى هذه المدينة ومن ضمنهم سهى وابنها ساهر وكان المكان المهئ لهم تم تجهيزة فى احدي المدارس وتم وضع الذكور فى احد القاعات والنساء فى قاعات اخري ورغم ضعف الأمكانيات وقلة الحمامات فقد كان افضل بكثير من النوم فى العراء حيث كانوا يلتحفون السماء ويفترشون أوراق الشجار .

كان يقوم على حراسة المكان بعض الجنود والمنظمات الانسانية وكانوا يقومون بتوفير بعض المواد الغذائية والمتطلبات الأساسية للاشخاص وبعض من الرعاية الصحيه ، وشعرت سهى بكيانها كأنسانه عندما تمكنت من الذهاب الى احد الحمامات العمومية بشكل طبيعي وقامت بالأستحمام وكأنت مرتاحه نفسيا رغم ان الظروف المحيطه بها تلتحف بالسواد واصبحت تشعر بإنها ملكة متوجه على عرش مملكه .

استطاعت سهى بلباقتها واسلوبها فى كسب تعاطف القلوب فقد استطاعت التعرف على أهل احد البيوت المجاورة وكانوا كبار فى السن وطلبوا منها المكوث معهم فى منزلهم فى أحدي الغرف فى الطابق الأرضي وكان هذا بداية الخير لها فقد انتقلت هى وابنها

لمكان يأويها وفيه نوع من الخصوصية حيث تحيط بها اربع جدران ولديها باب يغلق وعدم تلصص الأخرين واستاذنت الحراسة على المخيم فى أن تحصل على المواد الغذائية فى صورة مواد غير مطهيه لكى تقوم بطبخها فى تلك الغرفة بدلا من ان تكون طعام جاهز ولم يعارضها افراد الحراسة فى ذلك وسمحوا لها بأخذ حصتها من تلك المواد وكانت تطبخ فى غرفتها وبدأت تشعر بإنها انسانه لديها بيت هو مملكتها حتى لو كان مجرد غرفة ووصف ضيف ملتصق بها .

أستمرت سهى على هذا الحال وفى يوم من الأيام تم دعوتها لتناول العشاء عند أهل البيت الذى تم اعطائها غرفة فيه ولبت الدعوة وهى شاكره لهم معروفهم وكرمهم معها ومع ابنها وكان اهل البيت متوسطي الحال ولديهم شبكة الأنترنت فاستاذنت من صاحبة البيت ان تقوم بإعطائها كلمة السر الخاصة بالواى فاى وأعطتها السيده كلمة السر وسرعان ما تفاعل هاتفها بالشبكة وتمكن من التقاط شبكة الواى فاى بسهوله فأصبحت تشعر وكأن هناك من يستدعيها فى أشعارات الهاتف .

امسكت بهاتفها واذا بها تجد اشعارات من برنامج التواصل الفيس بوك وتذكرت انها كان لديها العديد من الأقارب على الهاتف واخذت تراسل هذا وتراسل ذاك أملا فى ان تجد أحدهم على قيد الحياة بعد أن اصابت الحروب معظم المناطق وتركت فى كل بيت أرمله وطفل يتيم وتناولت قهوتها برفقة اهل البيت وشكرتهم على حسن الضيافة ونزلت الى الغرفة التى ستبقى فيها هى وابنها واصبحت تشعر بأدميتها ولحسن الحظ فإن اشارة الواى فاى تصل الى غرفتها وفى كل ثانية تنظر لهاتفها ربما تجد احد الردود على

رسائلها لأقاربها وبينما هى تقلب فى الصفحات الأجتماعية التى تشارك فيها شاهدت احد اعضاء تلك الصفحات وهو يتحدث عن الوضع الذى تعانية تلك الأسر التى عاشت بينهم واخذت تقلب فى منشوراته حتى ثبت لها القناعه بانه شخص محترم فقامت بالتواصل معه وشكرته على ما ينشرة عن معانات الاسر فهى من ضمن تلك السر ولديها ماده خصبة يمكن أستخدامها فى توصيل اصواتهم للعالم الخارجي وقد كان فقد تواصل معها صاحب الحساب وتكررت الحوارات بينهما حتى اصبحا صديقين .

كان لها المرآه التى تنظر فيها بحرية وتتحدث امامها بدون زيف فقد كان مصدر ثقه ولم يكن له فيها آي مأرب شيطانية وكان دائم السؤال عنها وعن أبنها وزاد ذلك من رصيده فى مشاعرها الأنسانية

وفى أحد الأيام جاءها احد الردود على رسائلها من اختها التى استطاعت الفرار الى دولة اخرى عن طريق التهريب هى وزوجها واستقرت هناك بأمان وكان ذلك كفرحة العيد بعد أداء احد الطاعات واخذوا يتبادلون الأحاديث ويعرفون أخبار بعضهم البعض ومن بقى على قيد الحياة من الأقارب واصبح للحياة معنى اخر وطلبت منها اختها ان تحاول الهرب من المكان والحضور اليها ولكن المشكله ان كل أوراقها الثبوتية تركتها فى منزلها عند الهروب .

انتهت المحادثه بينها وبين شقيقتها واتجهت الى صديقها لتزف له البشري والأخبار السعيده بإن لها اخت استطاعت الفرار من ويلات الحرب ودخلت الى احدى الدول المجاورة وانها طلبت منها اللحاق بها ففرح لها صديقها بهذا النبأ السعيد وأيد شقيقتها فى تلك الفكرة وقرر ان يساعدها فى الخروج من أزمتها وطلب منها

استخراج اوراق ثبوتية لها ولأبنها مهما تكلف الأمر فلا بد من خروجها حتى تعيش بأمان وقالت له سأقوم بالسؤال عن الأجراءات

فى اليوم التالى قامت سهي بالتواصل مع احد الضباط لتتمكن من الحصول على اوراقها الثبوتية وارشدها الى الطريق الصحيح وسالت عن ادارة الجوزات حتى توصلت اليها وقامت بالتحدث مع الموظف هناك لكي يستخرج لها الأوراق الثبوتية التى فقدتها وقال لها انه لا يوجد لدينا سجلات وان الأمر صعب جدا وفهمت من حوار الموظف انه يريد ان تدفع له مبلغا من المال فقد كانت تتميز بالذكاء وقالت له حاول ومهما كلف الأمر سأقوم بدفع المبالغ المطلوبة ووعدها الموظف انه بعد اسبوع سيقوم بالرد عليها .

عادت سهى الى صديقها الفيسبوكي واخبرته بما حدث وطلب منها اقرب مكان لتلقى الأموال ومع خجلها الشديد وبيئتها النظيفة التى كانت تعيشها كان هذا الأمر صعب عليها جدا لكن تحت وطأه الظروف رضخت لحكم الأمر الواقع واعطته بيانات احد الصرافات القريبه منها ولم يتأخر صديقها فى إرسال مبلغ مالى لها تستطيع من خلاله تدبير أمورها رغم ان ظروفه ليست بالثرية لكنه كان شهما وحريصا على بذل الخير وما دفعه الى ذلك هو حرصها على شرفها وعدم التفريط به مهما ضاقت ظروفها واسودت الدنيا فى عينها .

استلمت سهى المبلغ من الصرافة وكانت سعيده جدا بهذا الأنسان الذى ساقة الله لها ولأبنها فى أحلك الظروف وتقابلت مع الموظف وأعطته المال وقام باعطائها اوراق ابنها ووعدها بتجهيز اوراقها فى أقرب فرصة ممكنه .

مرت الأيام ولم يقم هذا الموظف بتوفير اوراقها الثبوتيه كمما وعدها وانتشر القصف بالقرب من المنطقة التى تعيش فيها وتواصلت مع أختها لكي ترسل لها ابن شقيقتها فالمكان أصبح غير آمن وتم التواصل مع بعض المهربين واستطاعت الأتفاق معهم على تسفير ابنها برفقتهم الى تلك المنطقة وقد كان ، بعد اربعة ايام وصل ابنها سالما الى شقيقتها وحمدت سهى ربها كثيرا وطوال تلك الفترة كانت النار تأكل أحشائها خوفا على طفلها من أن يتعرض لسوء فى طريق الهروب وكان وسيلتها الوحيدة فى التهدئة هو صديقها الفيسبوكى الذى لم يتركها لحظة طيلة تلك الفترة .

استقبلت شقيقتها ابنها وفرحت به كثيرا فكانت له كالأم البديلة وتم الحاقه بإحد المدارس فى تلك المنطقة واصبح ملتزما فى دراستة وكانت تلك الأخبار مصدر سعاده لا توصف بالنسبة لسهى التى شعرت بإنها حققت رسالتها فى الحياة رغم اشتداد القصف فى الخارج ووابل طلقات الرصاص يخترق المسامع فقد اطمنت الى سفر ابنها وتواجده فى مكان آمن واستمرار اسم اسرتها على قيد الحياة حتى لو فارقت هى الحياة .

بعد مرور ايام من القصف تم عمل تهدئة بين الفصائل المتناحرة فى المنطقة واستطاعت سهى التواصل مع موظف الجوزات من جديد وأحضر لها اوراقها الثبوتية بعد وعده بمبلغ مالى كبير أضافى ولم يتأخر صديقها فى مساعدتها ايضا وقامت سهى بالأتفاق مع المهربين الذين قاموا بتهريب ابنها لكى يقوموا بنقلها وحدثت صديقها بالأمر وفرح لها كثيرا ووصلت سهى الى احضان شقيقتها وابنها بعد عناء وابتسم لها القدر من جديد رغم الويلات والنار التى كانت تحت رماد الصبر الذى تمسكت به طيلة حياتها

وظلت تتواصل مع صديقها الفيسبوكي ين فترة واخرى لكى تطمئن عليه وقد كان حريصا على عدم التواصل معها كالمعتاد فقد كان يخشى ان يشعر بشعور الفضل فى خروجها من ازمتها لكونها دوما تدين له بذلك وتكيل له الدعوات ليل نهار .

عاشت سهى فى بيت شقيقتها وكانوا يعاملونها بأحترام ولا يقصرون فى تلبيه طلباتها هى وابنها ولكنها كانت تشعر فى داخلها بإنها ضيف ثقيل ونظرا لكونها متعلمة ومثقفه فقد اصرت على ان تجد لها فرصة عمل مناسبة وظلت تبحث وتبحث حتى تحصلت على احد الوظائف فى احد المكاتب الاستشارية ويوما بعد يوم استطاعت تأجير احد الشقق وانتقلت لها هى وابنها وبعد ايام وردتها رساله من احدى قريباتها التى استطاعت الهجرة الى احد الدول الأوربيه واستطاعت توفير تأشيرة لها الى تلك الدوله وذهبت سهى وساهر الى تلك الدوله حيث الشعور بالكرامه والأحساس بالأنسان كانسان بغض النظر عن جنسيتة وعرقة ودينه وما زالت سهى تدين بالفضل لصديقها الذى اثبت لها ان عالم الفيسبوك فيه ايضا الرحمة